

تفسير السعدي

@ 380 @ عبدة وتفكر ، فيما ينفعهم ، وإنما هم كالصم والبكم ، الذين لا يعقلون . ! 2
! 2 ! حيث فوتوها أعظم الثواب ، واستحقوا أشد العذاب . ! 2 ! 2 ! أي اضمحل دينهم الذي
يدعون إليه ويحسنونه ، ولم تغن عنهم آلهتهم التي يعبدون من دون الله ، لما جاء أمر ربك .
! 2 ! 2 ! أي : حقا وصدقا ! 2 ! 2 ! . حصر الخسار فيهم ، بل جعل لهم منه أشده ، لشدة
حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة والعذاب ، فنستجير بالله من حالهم . ولما ذكر حال
الأشقياء ، ذكر أوصاف السعداء ، وما لهم عند الله من الثواب ، فقال : ! 2 ! 2 ! إلى قوله :
! 2 ! 2 ! . ^ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة
هم فيها خالدون * مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا
تذكرون) ^ يقول تعالى ! 2 ! 2 ! بقلوبهم ، أي : صدقوا واعترفوا ، لما أمر الله بالإيمان
به ، من أصول الدين وقواعده . ! 2 ! 2 ! المشتملة على أعمال القلوب والجوارح ، وأقوال
اللسان . ! 2 ! 2 ! أي : خضعوا له ، واستكانوا لعظمته ، وذلوا لسلطانه ، وأنابوا إليه
بمحبتة ، وخوفه ، ورجائه ، والتضرع إليه . ! 2 ! 2 ! الذين جمعوا تلك الصفات ! 2 ! 2 !
لأنهم لم يتركوا من الخير مطلبا ، إلا أدركوه ، ولا خيرا ، إلا سبقوا إليه . ! 2 ! 2 ! أي :
فريق الأشقياء ، وفريق السعداء ، ! 2 ! 2 ! هؤلاء الأشقياء ، ! 2 ! 2 ! مثل السعداء . ! 2 !
! 2 ! لا يستويون مثلا ، بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف ، ! 2 ! 2 ! الأعمال التي
تنفعكم . فتفعلونها ، والأعمال التي تضركم ، فتتركونها . ^ (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
إني لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي
الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين * قال يقوم أرايتم إن كنت على بينة من
ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون * ويقوم لا أسألكم
عليه ما لا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملائقو ربهم ولكني أراكم
قوما تجهلون * ويقوم من ينصرتني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون * ولا أقول لكم عندي خزائن
الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيتهم الله خيرا الله
أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين * قالوا ينوح قد جادلنا فأكثر جدالنا فأتنا
بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين * ولا
ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون * أم
يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون * وأوحى إلى نوح أنه لن

يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون * واصنع الفلك بأعيننا ووحينا
ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم * حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل * وقال اركبوا فيها بسم
إلهنا مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم * وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه
وكان في معزل يبني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين * قال سأؤي إلى جبل يعصمني من الماء
قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين * وقيل يارض
ابلعي ماءك ويسمأ أقلعي وغيص الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم
الظالمين * ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين *
قال ينوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنني ما ليس لك به علم إنني أعطك أن
تكون من الجاهلين * قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني
أكن من الخاسرين * قيل ينوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم
ثم يمسهم منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل ه ذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) ^ أي : ! 2 2 ! أول المرسلين ! 2 2 ! يدعوهم
إلى الله وينهاهم عن الشرك فقال : ! 2 2 ! أي : بينت لكم ما أنذرتكم به ، بيانا زال به
الإشكال . ! 2 2 ! أي : أخلصوا العبادة لله وحده ، واتركوا كل ما يعبد من دون الله ! 2 2
! إن لم تقوموا بتوحيد الله ، وتطيعوني . ! 2 2 ! أي : الأشراف والرؤساء ، رادين لدعوة
نوح عليه السلام ، كما جرت العادة لأمثالهم ، أنهم أول من رد دعوة المرسلين . ! 2 2 !
وهذا مانع بزعمهم عن اتباعه ، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب الذي لا ينبغي غيره ، لأن
البشر يتمكن البشر أن يتلقوا عنه ، ويراجعوه في كل أمر ، بخلاف الملائكة . ! 2 2 ! أي :
ما نرى اتبعك منا ، إلا الأراذل والسفلة بزعمهم . وهم في الحقيقة الأشراف ، وأهل العقول ،
الذين انقادوا للحق ، ولم يكونوا كالأراذل ، الذين يقال لهم الملاء ، الذين اتبعوا كل
شيطان مريد ، اتخذوا آلهة من الحجر والشجر ، يتقربون إليها ويسجدون ، فهل ترى أرذل من
هؤلاء وأخس ؟ وقولهم : ! 2 2 ! أي : إنما اتبعوك من غير تفكير وروية ، بل بمجرد ما
دعوتهم ، اتبعوك ، يعنون بذلك أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم ، ولم يعلموا أن الحق
المبين ، تدعو إليه بدهة العقول ، وبمجرد ما يصل إلى أولي الألباب ، يعرفونه ويتحققونه
، لا كالأمر الخفية التي تحتاج إلى تأمل ، وفكر طويل . ! 2 2 ! أي : لستم أفضل منا
فننقاد لكم ، ! 2 2 ! وكذبوا في قولهم هذا ، فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة
لنوح ، ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه . ولهذا (قال) ^ لهم نوح مجابوا (يا

قوم إن كنت على بينة من ربي) ^ أي : على يقين وجزم ، يعني وهو الرسول الكامل القدوة ،
الذي ينقاد له أولو الألباب ، وتضمحل في جنب عقله ، عقول الفحول من الرجال ، وهو الصادق
حقا ، فإذا قال : إني على بينة من ربي ، فحسبك بهذا القول ، شهادة له وتصديقا . ! 22
! أي : أوحى إلي وأرسلني ، ومن علي بالهداية ، ! 2 2 ! أي : خفيت عليكم ، وبها
ثنا قلتم . ! 2 2 ! أي : أنكرهكم على ما تحققناه ، وشككتم أنتم فيه ؟ ! 2 2 ! حتى
حرصتم على رد ما جئت به ، ليس ذلك ضارنا ، وليس بقادح من يقيننا فيه ، ولا قولكم ،